Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 11 | Page 264 – 276 |2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

The Rhetoric and Semantic of Interrogative Expressions in the Novel "The Journey of Zahra" by Murtada Abdul-Salam Al-Haqeeqi.

Najeeb Olayinka ABBAS [1,*], Uthman Abdus-Salams[1]

[1] Al-Hikmah University, Ilorin, Nigeria.

***Corresponding author:** *abbasnajeeb527@gmail.com* & *uabdussalam@alhikmah.edu.ng*

Keywords

1. Style
2. rhetoric of interrogation
3. novel
4. Zahra's journey

Abstract:

This research examines the rhetoric and meaning of interrogative forms in Murtadah Abdul Salam Al-Haqeeqi's novel "The Journey of Al-Zahraa." This research examines the rhetoric and semantics of interrogative forms in the novel's text. The researcher relied on an analytical approach that traces these forms within the narrative context of the novel, revealing their artistic and psychological dimensions and their role in constructing meaning and escalating the event. The researcher divided the study into two main sections: The first section examines the semantic functions of interrogative forms related to the literal or direct meaning of the question, whereby the interrogative is understood to request information or answers about something unknown. The second section explores the rhetorical functions of interrogative forms, such as expressing bewilderment, denunciation, astonishment, suspense, or reporting, while demonstrating their impact on conveying the characters' states and attitudes. The research also highlights the close relationship between interrogative forms and external dialogue between characters, and internal dialogue (monologue), which reveals psychological and emotional conflict. The analysis revealed that the interrogative in the novel transcends its grammatical function to become a fundamental artistic tool, contributing to reader engagement, enriching the narrative intent, and enhancing the dramatic character of the text.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 11 | Page 265 – 276 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

بلاغة الاستفهام ودلالته في رواية "رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي

نجيب أولاينكا عباس [1]*، عثمان عبد السلام[1]

[1] جامعة الحكمة إلورن، نيجيريا.

المؤلف: *abbasnajeeb527@gmail.com & uabdussalam@alhikmah.edu.ng*

الكلمات المفتاحية

1. الأسلوب
2. بلاغة الاستفهام
3. رواية
4. رحلة الزهراء

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة بلاغة الاستفهام ودلالته في رواية "رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي، من خلال تحليل بلاغي ودلالي لصيغ الاستفهام الواردة في نص الرواية. وقد اعتمد الباحث على منهج تحليلي يتتبّع هذه الصيغ داخل السياق السردي للرواية، للكشف عن أبعادها الفنية والنفسية، ودورها في بناء المعنى وتصعيد الحدث. وقد قسّم الباحث الدراسة إلى مبحثين رئيسين: المبحث الأول: تناول الوظائف الدلالية لصيغ الاستفهام التي تتعلق بالمعنى الحرفي أو المباشر بالسؤال، حيث يفهم من الاستفهام أنه يطلب معلومات أو إجابات حول شيء غير معروف، والمبحث الثاني حصّص لبحث الوظائف البلاغية لصيغ الاستفهام مثل التعبير عن الحيرة، أو الاستنكار، أو التعجب أو التشويق، أو التقرير، مع بيان أثرها في نقل حالات الشخصيات ومواقفها. كما أبرز البحث العلاقة الوثيقة بين الاستفهام والحوار الخارجي بين الشخصيات، والحوار الداخلي (المونولوج) الذي يكشف الصراع النفسي والوجداني. وأسفر التحليل عن أنّ الاستفهام في الرواية يتجاوز وظيفته النحوية إلى كونه أداة فنية أساسية، تسهم في إشراك القارئ، وإثراء النية السردية، وتعزيز الطابع الدرامي للنص. وتوصّل البحث إلى نتائج منها: إن المؤلف لم يستخدم الاستفهام كأداة لغوية عابرة، بل كآلية فنية متكامنة تخدم الحوار الخارجي والمونولوج الداخلي على حدّ سواء، وتضفي على السرد حيوية وتواترا، وتعزز مشاركة القارئ الوجدانية والفكرية. وبذلك يشكّل الاستفهام في "رحلة الزهراء" ملمحا أسلوبيا مميّزا يمنح الرواية فرادتها وثراءها التعبيري.

المقدمة:

تعدّ الرواية نوعا من أنواع الأدب تتميز بخصائص تختلف عن غيرها، وهي فن حديث في الأدب العربي النيجيري ظهر في الثمانينيات من القرن العشرين، تعالج أوضاع متباينة: اجتماعيّة، وسياسيّة ودينيّة، وثقافيّة، وقد تكون خياليّة أو واقعيّة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن اللغة العربية لها أساليب متعددة في تركيب الجمل الذي يؤدّي إلى مفاهيم ومعان متباينة. ومن هذه الأساليب الاستفهام في البلاغة العربية الذي يعدّ من أبرز وسائل التعبير الفني التي تضفي على الكلام جمالا وقوّة، ويتميز الاستفهام البلاغي بخروجه عن المعنى الحقيقي (طلب الفهم أو المعرفة) إلى أغراض بلاغية مختلفة تتناسب مع السياق، وقد صوّر لنا مرتضى عبد السّلام الحقيقي الرّوائي النّيجيريّ في روايته المسمّاة بـ"رحلة الزّهراء" المودّة وخطورتها وحالة الصبّ المنغمس في حب الآنسة التي أراد أن يفوز بقلبها، ولم يجد السبيل إلى ذلك، مثل ما صوّره لنا عن غاية عشقه نحو زوجته "زهراء" وما كابده من معاناة الود قبل أن يظفر بقلبها، فضلا عن التّحديات الّتي واجهته أثناء وضع زوجته الحامل في إحدى المستشفيات بولاية جوس، وعدم مبالاة الممرّضات الموجودات في العمل عند معاناة زوجته بالألم الشّديد. وقد وظّف الكاتب بلاغة "الاستفهام" في هذا النتاج مستفيدا من الطّاقة اللّغويّة. هذا، وإن هذه الرواية حَرية بالدراسة من الزوايا المختلفة، أما هذه المقالة فستركّز على الزاوية البلاغية (أسلوب الاستفهام) للكشف عن جماليّة بلاغة أسلوب الاستفهام ودلالاته المجازية، علمًا بأنّ "الاستفهام" من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تستخدم في تحريك عواطف المخاطب، وإضفاء الجماليّة على النّصّ، لقد رغب الأدباء في استخدام هذا الأسلوب في أعمالهم الأدبيّة؛ لأنه ذو معنى مجازيّ يعرف من السياق وقرائن الأحوال.

ويحتوي عناصر البحث على النحو الآتي: مفهوم أسلوب الاستفهام، وعرض موجز عن رواية "رحلة الزهراء، وترجمة حياة الكاتب، وأسلوب الاستفهام في رواية "رحلة الزهراء".

مشكلة البحث:

تعدّ صيغة الاستفهام من أبرز الأساليب البلاغية التي تمنح النص الأدبي طاقة تعبيرية وجمالية، غير أنّ كثيرا من الدراسات النقدية التي تناولت الرواية العربية المعاصرة ركّزت على عناصر السرد الكبرى كالحدث والشخصيات والزمان والمكان، وأغفلت تحليل الأساليب اللغوية الدقيقة مثل الاستفهام من حيث وظائفه الدلالية والبلاغية وعلاقته بالبنية السردية. ومن هنا تبرز مشكلة هذا البحث في قلّة الدراسات التي تناولت بلاغة الاستفهام ودلالته في رواية "رحلة الزهراء"، رغم أنّ هذا الأسلوب يتكرر في النص ويؤدي أدوارا محورية في بناء المعنى، وتصعيد التوتر الدرامي، وكشف الصراع النفسي للشخصيات، من خلال الحوار الخارجي والمونولوج الداخلي. لذا يسعى البحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس: ما الوظائف الدلالية والبلاغية لصيغ الاستفهام في رواية "رحلة الزهراء"؟ وكيف يخدم الاستفهام السياق السردي ويؤثر في البنية الحوارية للنص؟

أسئلة البحث:

بناء على المشكلة التي سبق ذكرها لهذا البحث، تنبثق التساؤلات الآتية:

1- من هو مرتضى عبد السلام الحقيقي؟

2- ما أبرز صيغ الاستفهام الواردة في رواية "رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي؟

3- ما الوظائف الدلالية والبلاغية التي تؤديها صيغ الاستفهام في النص؟

4- كيف يخدم الاستفهام السياق السردي، ويسهم في تصعيد الأحداث وإبراز التوتر الدرامي؟

5- كيف يوظف الاستفهام في المونولوج الداخلي لإبراز الصراع النفسي والوجداني؟

أهداف البحث:

تأتي أهداف هذا البحث المتواضع تلبية على تلك التساؤلات الواردة للبحث، وفي مقدمة تلك الأهداف:

1- التعرف على شخصية مرتضى عبد السلام الحقيقي

2- تحليل صيغ الاستفهام الواردة في رواية "رحلة الزهراء" تحليلا بلاغيا ودلاليا.

3- الكشف عن الوظائف الدلالية والبلاغية للاستفهام مثل التعبير عن الاستنكار أو التعجب أو التقرير.

4- بيان العلاقة بين الاستفهام والسياق السردي وكيف يسهم الاستفهام في تصعيد الأحداث وبناء التوتر الدرامي.

5- توضيح دور الاستفهام في الحوار الخارجي بين الشخصيات، والمونولوج الداخلي الذي يعكس الصراع النفسي والوجداني.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة فلم أجد – بحسب علمي – مقالة اهتمت بدراسة الاستفهام ودلالاته البلاغية في رواية "رحلة الزهراء"، سوى ما عثرت عليه من دراسات تتعلق بهذه المقالة بطريقة غير مباشرة، مثل مقالة بشير أمين بعنوان "البنية الزمكانية في روايتي "السنة" و "رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي النيجيري: دراسة تحليلية. وقد تناول الباحث الزمان والمكان في هاتين الروايتين، ولم يتناول الاستفهام وبلاغته، وبعض المقالات التي تتعرّض لنشأة فن السرديات العربية النيجيرية، وعرض فيها الباحث كتب الرواية النيجيرية. كما استعانت المقالة ببعض المصادر والمراجع التي ساعدتها على الإتمام، أمثال كتاب "علم المعاني" للدكتور عبد العزيز عتيق البلاغية، والبلاغة الواضحة للأستاذ أيمن أمين وغيرها من الكتب البلاغية.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه المقالة على المنهج الوصفي والتحليلي، بوصف الأسلوب الاستفهامي في النص، وتحليل دلالته البلاغية في ضوء السياق، كما تعتمد على المنهج الاستقرائي لاستنتاج الوظائف الفنية للأسلوب الاستفهامي في الرواية.

عرض موجز عن رواية "رحلة الزهراء":

احتوت هذه الرّواية على تسعة فصول، وفي واحد وخمسين صفحة، وغلاف الرّواية مزخرف بصورة فتاة جميلة جذابة أمامها زهرة ذات ريحة باهجة وألوان صافية. طبعت في عام ٢٠١٢م، وكتب لها تقديما موجها ومغزيا الأستاذ الدكتور/ أحمد شيخ عبد السلام فيما لا يقل عن صفحتين ونصف، ثم كتب لها تقريظا موجزا الدكتور/ أَلَاوِيْيَيْ لقمان أَوْلَاتَجُوْ وهو في ثلاث صفحات، فالإهداء من الكاتب قبل أن يباشر في سرد الرواية.

إنّ الرّواية "رحلة الزهراء" قصّة أدبيّة إنسانيّة ذاتيّة تحكى بأسلوب فني راق أحداثا واقعية في حقبة من حياة الكاتب الشاب المثابر الطّموح من اللحظة الأولى

لظفرة الود الهياج، وما يرافقه في العادة من الحشمة في البيئة المسلمة التّقليديّة لمنطقة "إلورن" التي تغلب على أهلها الأصليّين الثّقافة الشّماليّة المسلمة، وينطق أغلب قاطنيها لغة "يوربا". وتعرج القصّة على محاولات التودد إلى الفتاة والامتنان بالودّ الطّريف، فالوصول إلى قلب الحبيبة، والتبادل النزيه للحبّ، فالتعارف الموسع بين أسرة الكاتب "رضا" وأسرة الحبيبة (الزهراء)، فانتهاء بالزواج، والمعاشرة السعيدة، ثم الفراق المفاجئ المؤلم المحتوم على كل مخلوق.

إنّ هذه الرّواية "رحلة الزهراء" بلا أدنى شك رومانسية وتراجدية لـ "رضا"؛ إذ يصوّر فيها الكاتب لحظات حلوة رومانسية مع الزهراء، وأخرى إنسانية مفجعة لفراق حبيبته. فترى "رضا" في مستهل الرّواية ضاحكًا مستبشرًا بل ساخرًا من شدة ولعه وشغفه بالزهراء وتدللها الدّؤوب في بداية الخطبة، ولا يكاد يملأ قلب القارئ لهذه الرواية من حلاوة سيناريو هذه الكوميدية الغرامية التي انتهت إلى تحقق حلم "رضا" في الظفر بالزهراء، حتى يسقط على الحادثة المأسويّة الفجيعة المتمثلة في رزء الحبيبة ورحلتها النهائيّة. تلك الرّحلة التي أخرجت الزهراء من خدرها قهرا ، فأبعدها من مجنونها "رضا" إلى حياة برزخيّة سرمدية. وعلى الرغم من فجاعة الرزيئة والحزن، فإن صاحبنا ليس –لشدة شغفه– ممن يستسلم لنهاية تراجدية، أو يؤمن بفقد نهائي لمحبوبته، بل له رجاء بعودتها تخفيفا من آلامه، ومتسليا به عن مأساته. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام 2012م، ص:1)

نبذة عن حياة الكاتب:

ولد مرتضى بن عبد السلام الحقيقي بمدينة إلورن، 3 أغسطس عام 1978م، ولاية كوارا، محلية إلورن الشرقية، بجمهورية نيجيريا الفيدرالية، وهو يورباوي لِسَانًا. نشأ تحت كفالة والديه، وكان والده (الشيخ عبدالسلام) عالما من علماء الإلوري، وهو الذي تولى تعليمه في بداية حياته قبل انتقاله إلى الشيخ مرتضى بن محمد الأوّل سَكَمَا وتربى تربية إسلاميّة، وترعرع في هذه المدينة حتى أصبح يافعا. (الحوار بين الكاتب والباحث، 2024م)

تزوج الشاعر بفتاة جليلة مسلمة ذات أخلاق طيبة، وهي من مواليد مدينة إلورن من أسرة العلم والفضل، ورزق منها أبناء من بنين وبنات بعد أن ماتت زوجته الأولى التي أنجبت له بنتا اسمها سعاد.

وتعلّم مرتضى عبدالسلام الحقيقي قراءة القرآن الكريم عند الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد الأول (خليفة سَكَامَا الحالي) بمدينة إلورن، تلقى تعلّمه الإعدادي بمدرسة (بحر العلوم)، سَكَمَ – إلورن نيجيريا، عام ١٩٩٣م ، والثانوي بـ (كلية اللغة العربية الحكومية)، جَيْبَا، ولاية كوارا – نيجيريا، ما بين ١٩٩٣ و ١٩٩٩م. (السيرة الذاتية عن الكاتب، 2012م) ولأجل رغبته الشديدة للعلم ولغة الضاد خاصة بل جهوده المضنية في مواصلة مسيرته الثقافية وُفِّق على نيل القبول في الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلّيّة اللّغة العربيّة والدّراسات الأدبيّة (قسم الأدب) عام ١٩٩٩م وتخرّج فيها عام ٢٠٠٣م، حاملا شهادة اللّيسانس، كما حصل على الماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة جوس – ولاية بلاتو نيجيريا، ٢٠٠٨م، وعلى الدكتوراه في النظم القرآني بجامعة عثمان بن فودي، صكتو نيجيريا، عام ٢٠١٤م. (أحمد أبو بكر عبد الله 2017م، ص:54) وهو حاليا – الأستاذ الدكتور بقسم اللغة العربية، جامعة ولاية بوتشي غَطَوْ.

زاول المترجم له التدريس في مدارس عربية حديثة منها: مدرسة منظمة الشباب الإسلامي في مدينة

أَنكبا، ولاية كوغي (الخدمة الوطنية) عام، 2003 ـ 2004م، وفي مدرسة البيان الثانوية للمنتدى الإسلامي جوس من عام ٢٠٠٤م إلى ٢٠١٢م حيث كان مدرّسًا ونائبَ العميدِ، وكلّيّة الكانمي بمدينة جوس، عام 2005 ـ 2009م، وغيرها.

كما كان محاضرا بـ (كلّيّة التّربيّة الفيدراليّة) بَنْكِشِنْ، ولاية بلاتو، من عام ٢٠١٠م – ٢٠١٥م، قبل أن يوظّف في جامعة ولاية بوتشي غطو، ٢٠١٥م.

تولّى مناصب علميّة عديدة منها: نائب رئيس التحرير لمجلّة "نتائس" بولاية بلاتو، نيجيريا من عام 2010م – 2011م، وكان سكرتير هيئة التّحرير لمجلّة الآفاق، في جامعة ولاية بوتشي، غطو، ٢٠١٥م ـ 2017م، وكان مسؤول الامتحانات بقسم اللغة العربية في جامعة ولاية بوتشي، عام 2015م، كما كان منسق الأنشطة الثقافية بالقسم العربي في جامعة ولاية بوتشي، عام 2015م، وكان نائبَ رئيس التّحرير لمجلّة اللّسان، الصادرة عن الجمعيّة الأكاديميّة للغة العربيّة وآدابها في نيجيريا التي تعرف بـ (أسلن)، عام ٢٠١٦م ـ 2017م. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام وآخرون 2017م، ص87) شارك الحقيقي في مؤتمرات وندوات على الأصعدة الوطنية والعالمية، منها:

ـ الندوة الدولية حول الدراسات العربية والإسلامية والتحديات المعاصرة في القرن الواحد والعشرين تنظيم قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة ولاية كوغي أينغبا، نيجيريا، عام ٢٠١٠م.

ـ الندوة العالمية لمجلس اللسان العربي بنواكشط (جمهورية موريتانيا) بعنوان: "اللغة العربية في إفريقيا"، عام ٢٠١٩ م.

ـ المؤتمر السنوي الوطني الثلاثيني لجمعية اللغة العربية والدراسات الإسلامية في نيجيريا (نتائس)؛ ولاية أَيْكِيْتِ نيجيريا، عام ٢٠١٢م.

وله مقالات منشورة في الصّحف والمجلّات الأكاديميّة في الجامعات النيجيريّة وخارجها، وله مبادرات طيّبة في المجال الأدبي شعره ونثره أهمها ما يأتي:

– السنة، قصّة عربيّة فنيّة (٢٠٠٦م)، مطبعة كيود ميلولا للطّباعة والنّشر، إلورن، ولاية كوارا

– رحلة الزّهراء، قصّة عربيّة فنّيّة (٢٠١٢م)، مطبعة ألبي جمبا، إلورن، ولاية كوارا.

– الشّعر السّياسي في نيجيريا لمحات ونماذج (٢٠١٢م)، مطبعة الشمس للنّشر والإعلام ، القاهرة.

– طرق البحث العلمي في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة (٢٠١٣م)، مركز نشر المخطوطات العربيّة، إلورن.

– السيّد المحاضر، مسرحيّة عربيّة ٢٠١٥م.

– في الأدب العربي النيجيري المعاصر: دراسة وصفية (تحت الطبع).

– الشّعر السّياسي في رياض ألبي، دراسة أدبية تحليلية (٢٠٢٣م).

ـ رثاء المرأة في ديوان الوزير جنيد؛ دراسة وصفية، مقالة منشورة في مجلة جامعة كشمير بالهند، العدد الثاني عام ٢٠١٩، ص ٩٤ – ١٠٣.

ـ تعليم اللغة العربية للكبار الأفارقة بين الغاية الدينية والهوية الثقافية؛ مقالة منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الثاني عام ٢٠١٣م من ص ٢٨٦-٢٩٢. (السيرة الذاتية عن الكاتب، 2012م)

الوظائف الدلالية للاستفهام في رواية "رحلة الزهراء":

تنوعّت الوظائف الدلالية لصيغ الاستفهام في نصوص الرواية – بتنوّع السياقات والمقامات الحوارية والسردية، وهي ليست دائما طلبا حقيقيا للعلم بالجواب، بل كثير منها استفهام مجازي أو بلاغي خرجت عن أصل دلالتها إلى معان أخرى، تفهم من خلال السياق وقرائن الحال.(بسيوني، ص393) ومن طبيعة الإنسان عدم التصريح بالمعنى الذي يقصده غالبا، فيتخذ للإشعار به أسلوبا غير مباشر. ومن الأساليب الذكية غير المباشرة أن يحاول جعل المخاطب هو الذي يعبّر بنفسه عن المعنى، ويدركه بنفسه ولو لم يعبّر عنه بكلامه.

ونستورد هنا النصوص مع دراسة الاستفهام فيها، وإبراز الوظائف الدلالية فيها، كقوله: في هذه الرواية "الاستفهام الطلبي (الحقيقي)"، وظيفته طلب معرفة معلومة مجهولة عند السائل. جاء في نص الرواية قول المؤلف: "أتعرفين ما شاهدته في هذا الصباح لما وصلت إلى المنزل؟ ما هو؟ إنه سعاد!، سعاد كيف حالها؟ مبسوطة طبعا..." فرضا الذي هو بطل القصة يخاطب حبيبته، الاستفهام هنا طلب حقيقي لمعرفة المعلومة. "ما هو؟" سؤال مباشر عن المعلومة، وقوله: "كيف حالها"؟ سؤال عن الحالة الصحية أو النفسية. وكذلك قوله: "ما تعنين بهذه الورقة وماذا أفعل بها؟" استفهام عن معنى أمر مبهم والغرض منه.

تجاهل حالتي صحبي فقالوا ** أتمسي المستهام بلا اصطبار؟!

(الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:22)

وتأتي العبارة في سياق حواري سردي يعكس موقفا وجدانيا. فالـ"رضا" يصف رد فعل "صحبه" تجاه حالته النفسية، إذ إنهم لاحظوا أو تجاهلوا معاناته، ثم خاطبوه باستفهام إنكاري أو تعجبي. والبيئة السردية هنا هي موقف عاطفي يتضمن معاناة شخصية، والمخاطبون هم الأصدقاء الذين يبدون دهشة أو استنكارا لسلوك "رضا". وعلاقة الاستفهام بالحوار، هو أن الاستفهام موجّه من "الصحب" إلى "رضا"، يحمل في طياته تفاعلا شعوريا بين الطرفين: هم يراقبون تصرفه ثم يسألونه باستفهام ذي طابع استنكاري. ووظف المؤلف الاستفهام في هذا النص لكسر النسق الوصفي بإدخال صوت آخر (الأصدقاء) مما يزيد التعدد الصوتي في النص.

وقد خرج هذا الاستفهام عن معناه الأصلي إلى "إنكاري وتعجبي"، لأنّ "الرضا" لما اشتد به شوق الزهراء، وفتنه حبّها تغيّرت حاله، وبدأ أصدقاؤه يستغربون من تصرفاته حتى قالوا: أتمسي المستهام بلا اصطبار؟ أي: لا تمسي المستهام بلا اصطبار، فالاستفهام هنا يفيد النفي. ومن هذا القبيل قوله:

فَكَيْفَ الْجِسْمُ يَسْعَفُهُ الْمَتَاعُ ** إِذَا مَا الْقَلْبُ فِي قَعْرِ الشِّرَارِ؟

(الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:22)

والحدث السردي هنا ليس موقفا خارجيا مباشرا، بل حالة وجدانية داخلية تعبر عن الصراع النفسي بين ظاهر الجسد وباطن القلب. والجو العام للنص يميل إلى الحزن والتفكر في المعاناة الداخلية. فعلاقة الاستفهام بالحوار هو أنه لا يوجد حوار مباشر بن شخصيتين، لكن يمكن اعتباره منولوجا داخليا (حوار ذاتي)، إذ يخاطب "رضا" نفسه أو جمهورا افتراضيا. ووظف الاستفهام لإفادة "النفي المؤكد أي: أن الجسد لا يمكن أن يستمتع أو يرتاح إذا كان القلب مزعجا بنار الاشتياق.. ولا يريد الكاتب بهذا الاستفهام استفهاما حقيقيا بل يريد به معنا آخر "النفي".

ومنه أيضا قوله: "لا شكّ أنّهم يتعمدون إيذائي وتعذيبي بهذه التكاليف، وما زالت التي اشتريت منذ الصباح مهجورة على الطاولة، ولم تتناول منها الزهراء إلّا تلك الحقنة والحبتين الصغيرتين! ما هذه المصيبة يارب ؟ ، أتراني قادرا على تحمّلها، لقد عرفت أنّي غريب هنا لا أب لي يرحم ولا أم ترأف ولا أهل يساعد ..." (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:24)

فالنصّ ينقل حالة ضيق ومعاناة نفسية لشخص يواجه ظروفا قاسية، تتمثل في تكاليف باهظة ومعاملة جافة من المحيطين به. والأحداث تدور في لحظة انفعال داخلي، حيث يختلط الوصف الواقعي (التكاليف، الأدوية على الطاولة) بالتفجر الوجداني عبر أسلوب الاستفهام والنداء. وهذا السياق يعكس العزلة العاطفية والاجتماعية للشخصية.

والاستفهام في "ما هذه المصيبة يارب ؟" يفيد الدهشة والتعجب لا يراد به الحصول على جواب بل للتعبير عن الذهول من شدة البلاء، ويحمل طابع النداء لله، فيمزج بين الاستفهام والتضرع. أما الاستفهام في قوله: "أتراني قادرا على تحمّلها" فاستفهام غرضه التشكيك أو الحيرة، يوحي بأنّ "رضا" في حالة صراع داخلي بين الأمل واليأس.

ورغم أنّ النص يبدو حديثا داخليا (مونولوج)، إلا أنه يحمل سمات الحوار: السؤال الأول موجه إلى الله في صورة مناجاة. والسؤال الثاني موجّه ضمنيا إلى الذات، في محاورة نفسية. وهذا التنقل بين مخاطبة الله ومخاطبة الذات يخلق حوارا متعدد المستويات داخل النص، ويعكس الصراع النفسي للشخصية. أما من ناحية توظيف الاستفهام فالأسئلة تكسر رتابة السرد وتحوله إلى تدفق وجداني متوتر، وتجعل القارئ متعاطفا مع المعاناة، وربما يجيب عنها في ذهنه. وتصعيد الدراما، أي: الانتقال من وصف الموقف الواقعي إلى الأسئلة الوجدانية يرفع حدة النص.

ومن الدلالات البلاغيّة للاستفهام "الإنكار". يقول الحقيقي: "لاشكّ أنهم يتعمدون..، أهكذا أتعذب وحدي؟ (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:35)

فالنص يصف لحظة احتقان نفسي وانفعال داخلي لشخص يواجه ظلما أو قسوة متعمدة من الآخرين (يتعمّدون إيذائي). ويبدأ بتقرير قاطع ("لا شكّ أنهم...")، ثم ينتقل من الوصف الموضوعي للموقف على صيغة التساؤل الانفعالي، مما يضفي على السرد طابعا تصعيديا. والسياق يوحي بأن الشخصية في حالة انعزال ووحدة أمام معاناة متكررة.

والاستفهام هنا إنكاري وتعجبي، لا يريد به الحصول على جواب، بل للتعبير عن الدهشة والاستنكار من كون العذاب واقعا عليه وحده. صيغة "أهكذا" تستدعي صورة حسية (هيئة التعذيب)، ما يمنح السؤال بعدا تصويريا. والنص هو مونولوج داخلي، لكن الاستفهام يحوّله إلى حوار ذاتي: الشخصية تسأل نفسها وكأنها تحاكم القدر أو الواقع. والاستفهام يأتي بعد جملة تقريرية قوية، وكأنه ردّ داخلي على ما تمّ استنتاجه ("لا شك أنهم...")، مما يشكل تتابعا حواريا بين التقرير والسؤال.

ومن دلالات الاستفهام "النفي" قوله: يا سبحان الله ! قل لي ماذا يصنع "رضا" بعد هذه الحادثة؟، وكيف تكون حالته، وماذا تشبه الدنيا في عينيه!، فقد صعب

عليه البكاء، إذ طالما يتحمّل هذه المعاناة بجلد كبير. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:44)

فالنصّ يأتي في إطار الحديث عن شخصية "رضا" التي مرت بحادثة مؤلمة، جعلت المتحدّث يتساءل عن إثرها النفسي والوجداني عليه. والجمل تسبقها صيحة تعجّب "يا سبحان الله!"، مما يوحي بأن المتحدّث أمام موقف استثنائي يستدعي التأمل. إذن، الاستفهامات هنا ليست منعزلة، بل نابعة من سياق يصف مرحلة ما بعد الحادثة وتأثيرها العميق على "رضا". والنص يضمّ ثلاثة أسئلة متتابعة، أما الذي يهمّنا في هذا الصدد فهو ما يفيد الوظيفة البلاغية، التي تتمثل في قوله "وكيف تكون حالته؟" استفهام عن الحالة النفسية، وهو قريب من الاستفهام البلاغي الذي يوحي بالدهشة والتعاطف، و"وماذا تشبه الدنيا في عينيه"، استفهام إنكاري أو تصويري، يوحي بأن الدنيا في عينيه تغيّرت تماما بعد ما مرّ به، مع احتمال أنه سؤال لا ينتظر جوابا محددا بل يفتح المجال للتأمل.

أما من ناحية علاقة الاستفهام بالحوار، فالاستفهام هنا ليس مجرد وصف، بل يُطرح كجزء من تواصل مباشر بين المتحدّث والمخاطب (قل لي...) ما يجعله جزءا من حوار ضمني. والحوار هنا ليس تبادليا كاملا (لا نسمع رد الطرف الآخر)، لكنه يفتح مساحة تخيلية لردّ ممكن، وكأن القارئ نفسه مدعو للإجابة.

ومنها قوله:

أتعرفين ما شاهدته في هذا الصباح لما وصلت إلى المنزل؟ ما هو؟ إنه سعاد!، سعاد كيف حالها؟ مبسوطة طبعا، ولكني وجدتها قد تعودت، يا سبحان الله تعني إنها بدأت تنساني ؟ كيف تنساك؟ أقصد أنها تعودت على الجو الجديد، ولم تعد تحاول الذهاب معي كعادتها من ذي قبل. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:39)

فالاستفهام في قوله: يا سبحان الله تعني إنها بدأت تنساني؟ استنكاري، يوحي بالدهشة، والاستفهام في قوله: كيف تنساك؟، سؤال إنكاري يعكس رفض فكرة النسيان. فالاستفهامان يشكّلان عمود الحوار بين الشخصيتين، وتدفعانه للتطور من عرض الحدث إلى التعبير عن المشاعر. ومن توظيف الاستفهام، خلق التشويق وكسر رتابة السرد، وإظهار الانفعال (دهشة، إنكاري، اهتمام)، تعزيز الطابع التفاعلي بين الشخصيات.

ومنه قوله:

"وصاحبنا على هذه الحالة حتى دنت إليه ممرضة تراقب أحوالها منذ حين، فقالت: مَالَمْ!، لم هذا التفكير العميق؟ أحمد الله على أنّها لم تزل على قيد الحياة ولم تصب بالجنون، أليس هذا من تجارب الحياة وقرائن أحوال الرجال؟ (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:36)

فالنص يحاول تهدئة بطل مأزوم نفسيا. وقوله: لمَ هذا التفكير العميق؟ الاستفهام هنا إنكاري يحمل نبرة لوم. وقوله: "أليس هذا من تجارب الحياة وقرائن أحوال الرجال" استفهام تقريري لتثبيت فكرة "طبيعية الابتلاء" وإعادة تأطير الحدث. وعلاقة الاستفهام بالحوار خطاب إقناعي مباشر من الممرضة لرضا، يخلط اللوم بالتطمين.

قالت الممرضة هذا القول "لرضا" لما كانت تنصحه لحادثة حلّت به، فهو استفهام تقريري إذ كان الاستفهام عن جملة منفية تحمل المخاطب على الإقرار، بمعنى: بلى هذا من تجارب الحياة.

ومن هذا القبيل قوله: هكذا أصبح الأمر حقيقة، واستحضر أحد الأطباء النفسانيين إلى صاحبنا ليصبّره حتى يكون على سداده، إلا أنه لم يؤثر فيه كلامه، بل ازداد غيظا على هؤلاء الأطباء الذين لم يبالوا بواجبهم في المستشفى، وكانوا يتلاعبون بنفوس المرضى، وهو يقول في تلك الحالة: أليس أنكم قد فعلتم فعلتكم التي فعلتم؟ وقد توفيت روحي، وكدر ماء حياتي، وماذا تريد أنت مني؟ ابتعد !!!، بزجر شديد. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:45)

فالاستفهام في قوله: "أليس أنكم قد فعلتم فعلتكم التي فعلتم" تقريري يحمل معنى الإثبات مع لهجة اتهام.، فالكاتب يقرّ فعلتهم، أي: هم الذين سببوا ما حدث لزوجته.

وقوله: "وماذا تريد أنت مني"؟ ابتعد. فالاستفهام فيه إنكاري توبيخي، لا يطلب جوابا بل يرسم حدودا، ويتحول إلى أداة إقصاء تمهّد للأمر القاطع "ابتعد". وبهذا تتكامل الدلالة البلاغية مع البناء السردي.

وقوله: "أضنى جسمها المرض وكاد يسحق روحها الإغماء، ولم يبق في ذاكرة "رضا" إلّا كلمة مثيرة أطلقتها الزهراء بعد إفاقتها: أليس أنّني لا بدّ ميتة؟". (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:30)

فالاستفهام في قول "الزهراء" يفيد معنى "الإنكار"، أي: لا ينبغي أن أموت إثر هذا المرض، كما يفيد "النهي" بمعنى لا تدعني أن أموت هكذا، فكأنّ الزهراء تذكرت مولودتها الصغيرة (سعاد) وأحسّت بافتقادها، ولفظت هذا القول بطريقة مدهشة لمّا كانت تعاني من الألم الشديد. وعلاقة الاستفهام بالحوار هي جملة موجهة ظاهريا للحاضر، لكنها أقرب إلى مونولوج تقرير أو تسليم بالمصير.

وكما في قوله: "وما مضى عليه إلا نصف ساعة حتى أرقده نوم خفيف لتعب تحمّله منذ حين، ثمّ أيقظته ممرضة وناولته ورقة بيضاء أخرى لاستحضار أدوية من الصيدليّة، لم يفهم رضا لهجتها لأول مرة لأنها لهجة هوسوية بلاتوية،كما لم يَعِ مقصودها بالورقة الممدودة إليه أخيرا، فسألها باللغة الإنكليزية: ما تعنين بهذه الورقة وماذا أفعل بها؟... أحسن أن تشتري الأدوية لزوجك. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:34)

لم يقصد الكاتب بهذا الاستفهام استفهاما حقيقيا، إذ إنه لا يريده أن يجيبه بل يقصد وراءه التجاهل عما تقصده الممرضة، واحتقار لما تضمنته الورقة لذلك ردت عليه بقوله: أحسن أن تشتري الأدوية لزوجك، فإنها قد عهدت بها في ضمير "رضا" من خلال السؤال.

وفي قوله: أدوية!، فكيف التي اشتريت منذ الصباح ولم تتناول إلا قليلا منها"، تلك للصباح، ومن قال لك إنها لا تنفعها لاحقا؟ (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:34)

السياق السردي هنا هو شدّ وجذب حول جدوى شراء مزيد من الدواء في ظل إرهاق مادي. فالاستفهام ليس حقيقيا بل إنه يدلّ على الاستنكاري. أي: أنه لا يشتري دواء بعد أن سبق شراء أدوية في الصباح ولم تتناول منها إلا قليلا.

كما أن الاستفهام –في قول هذه الممرضة – لا يفيد معنا حقيقيا إذ إنها لم ترد ذلك بل قصدت به ذمّ "رضا" لما صدر منه من فعل. ووظّف الاستفهام هنا لإبراز ضغط التكلفة والقلق العملي، واعتراض وتشكك في ضرورة الطلب الطبي.

ومن المعاني البلاغية للاستفهام "التعجب" وذلك إذا كان الاستفهام عما يثير الإعجاب والدهشة، كما في قول الكاتب مرتضى عبد السلام الحقيقي:

"أهكذا ترتفع تكاليف المستشفيات الحكومية؟ أم لأنني كنت غريبا في هذه الولاية؟ لاشك أنهم يتعمدون إيذائي وتعذيبي بهذه التكاليف" (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:34)

فالنص عبارة عن الاحتقان الاجتماعي والاقتصادي يفسّر به "رضا" معاناته. ووظّف الاستفهام هنا لفضح الظلم والتلميح للتمييز: سؤالان إنكاريان. وفي هذا التعبير استفهام تعجبي إنكاري، لأن تكاليف المستشفيات الحكومية التي كان فيها رضا وزوجته غالية فهذا يثير التعجب والاستغراب لرضا. إذ المتوقع أن تكون تكاليف المستشفيات الحكومية رخيصة حتى يستطيع الفقراء الذهاب إليها للعلاج. أما رضا فإنه وجد ضدّ ذلك في ولاية بلتو – جوس فدهش وتحيّر.

ومن هذا القبيل، قوله: هيم! إنه لابتلاء عظيم أن تعالج الكفرة النسوة المسلمات، وخاصة في حالة الوضع، فنعلل ذلك دائما بالقول "الضرورات تبيح المحظورات" ومتى تفهم الأمة فقه الواقعيات، ومتى ترمي الاختلافات جنبا في فروع لا تمس الأصول" (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:31)

يتعجب الكاتب من عدم فهم الناس فقه الواقعيات في بعض القضايا المعاصرة مثل قضية معالجة الرجل الكافر المرأة المسلمة في ساعة الوضع، فالكاتب يتعجب من تحليل بعض الناس بقولهم: "الضرورات تبيح المحظورات"، على سبيل الاستفهام التعجبي. فعلاقة الاستفهام بالحوار هو خطاب عام أشبه بالمناجاة، يخرج من سياق الحوار الفردي إلى خطاب جماعي. ووظّف الاستفهام لنقد إصلاحي بصيغة "متى" المتكررة، وإثارة وعي جمعي ودفع للتفكير في أولويات المجتمع.

ومنه أيضًا قوله: "وهو لم يدر متى انفجرت الدموع الحامية عن عينيه، كما لم يدر متى ضرب على هاتف أخيه الكبير لينعى على وفاة زوجه، فكان الأخ لا يكاد يصدق النعي لأول مرة، بل شرع يردّد قوله: قلت ماذا؟ مات!! من!. (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:44)

صوّر النص عن ذروة صدمية عند تلقي خبر وفاة حبيبته (الزهراء). وعلاقة الاستفهام بالحوار، رد فعل انفعالي فوري داخل مكالمة هاتفية، الأسئلة تقطع الخبر وتعيد طرحه. ووظّف الاستفهام لتصوير الصدمة وعدم التصديق عبر أسئلة مقتضبة متتابعة، وإيقاع مكسور يوازي الارتباك النفسي للشخصية. وفي هذا التعبير استفهام تعجبي، حيث يتعجب أخو "رضا" من موت الزهراء (زوجة أخيه) الذي فاجأه به، فكأنه لم يؤمن بوفاتها أولا مستغربا لقوله: "مات !! من!

الوظائف االبلاغية للاستفهام في رواية "رحلة الزهراء":

حاول الباحث هنا أن يتعرض لدراسة الوظائف البلاغية للاستفهام الوارد في رواية "رحلة الزهراء، مع ربطها بفكرة الرواية. قال الكاتب في نص الرواية:

" أتعرفين ما شاهدته في هذا الصباح لما وصلت إلى المنزل؟ ما هو؟ إنه سعاد!، سعاد كيف حالها؟ مبسوطة طبعا، ولكني وجدتها قد تعودت، يا سبحان الله تعني إنها بدأت تنساني ؟ كيف تنساك؟ (الحقيقي، مرتضى عبد السلام، 2012م، ص:39)

تبرز الاستفهامات هنا الحالة النفسية ل"رضا" أمام تغيّر سلوك "سعاد" ابنته التي لم تَعُد تعرف أباها لغيابه عنها لمدة. وإنّ الوظيفة البلاغية فيها التشويق والتعجب والإنكار. حيث تعكس الاستفهامات بداية

رحلة "رضا" مع القلق والاغتراب العاطفي. فهي ليست مجرد تساؤلات عابرة، بل تمثّل بذرة الصراع النفسي.

وقوله: "لم هذا التفكير العميق؟ أليس هذا من تجارب الحياة؟" الاستفهام هنا يوازي دور الممرضة كصوت للعقل والواقعية، كما يوازي بين الألم الشخصي ومنطق الحياة. والوظيفة البلاغية فيها التوبيخ والتقرير، لأن الحوار يظهر صراع البطل بين الانغماس في الألم ومحاولات الآخرين لتبصيره بالواقع.

وقوله: "أليس أنكم قد فعلتم فعلتكم التي فعلتم؟ وماذا تريد مني؟" الاستفهامات هنا تظهر حالة الغضب والاحتجاج ضدّ الأطباء الذين لم يبالوا بصحة "الزهراء" حتى وافتها المنية. فإنّ هذه الأسئلة تترجم فكرة الرواية عن خيبة الأمل في المستشفى. إذا، الاستفهام أداة احتجاجية على فساد الواقع.

وقوله: "أليس أنني لا بد ميتة؟" نفهم من هذا الاستفهام أنه يحمل معنى التقرير واليأس. وإنّ وظيفته البلاغية تثبيت قناعة الموت وإثارة التعاطف.

وقوله: "فكيف التي اشتريتُ منذ الصبا؟". يتعجب "رضا" وينكر من قول الممرضة التي أتت بورقة الأدوية التي تحتاج إليها زوجته. والاستفهام هنا يعكس فقدان الثقة في النظام الصحي في المستشفى، والعبثية في المعاناة الإنسانية.

وقوله: "أهكذا ترتفع تكاليف المستشفيات؟ أم لأنني كنتُ غريبا؟ جاء الاستفهام هنا على هذه الصورة عندما شعر "رضا" بالظلم، أي: كأنه يشعر بأن الممرضة في المستشفي تغشه.

وقوله: "قلت ماذا؟ مات!! من!" الاستفهام هنا للدهشة، وذروة الانفعال العاطفي، ليغلق النص على فكرة الموت والفقد باعتبارها النهاية الطبيعية للصراع.

الخاتمة:

أظهر هذا البحث أنّ الاستفهام في رواية "رحلة الزهراء" لمرتضى عبد السلام الحقيقي يمثّل عنصرا بنائيا جوهريا في الأسلوب السردي، يجمع بين العمق الدلالي والجمال البلاغي. واتضح في البحث أنّ الوظائف الدلالية لصيغ الاستفهام تنوعت بين التعبير عن الانفعال، وتكثيف المعنى، ونقل مواقف الشخصيات، وإثارة التساؤل لدى القارئ، كما تعرّفنا على قدرة المؤلف على توظيف الاستفهام بلاغيا لإبراز الصور الفنية، وخلق المفارقة، وتصعيد الإيقاع الدرامي، وربط القارئ بالأحداث. وتوصّل البحث إلى نتائج منها: إن المؤلف لم يستخدم الاستفهام كأداة لغوية عابرة، بل كآلية فنية تخدم الحوار الخارجي والمونولوج الداخلي على حدّ سواء، وتضفي على السرد حيوية وتواترا، وتعزز مشاركة القارئ الوجدانية والفكرية. وبذلك يشكّل الاستفهام في "رحلة الزهراء" ملمحا أسلوبيا مميّزا يمنح الرواية فرادتها وثراءها التعبيري. وهذا كلّه يعكس براعة المؤلف في جعل اللغة وسيلة لعرض التجربة الإنسانية وإغناء النص الروائي بالدلالات الجمالية.

المصادر والمراجع:

[1] أحمد أبو بكر عبد الله، (2017م)، فنّ الرواية في الأدب العربي النيجيري، رسالة الدكتوراه المقدمة إلى قسم اللغة العربية، جامعة إلورن.

[2] أيمن أمين عبد الغني، (2011م)، الكافي في البلاغة، القاهرة: دار التوفيقية للتراث.

[3] بسيوني، عبد الفتاح فيود، (2015م)، دراسة بلاغية نقدية لمسائل المعاني، ط4، القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.

[4] البلخي، محمد إبراهيم محمد شريف، (2007م)، أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في

القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه– الجامعة الإسلامية العالمية، باكستان: كلية اللغة العربية.

[5] الحقيقي، مرتضى عبد السلام، السيرة الذاتية، كتبها المترجم له بنفسه، وهي في ستّ عشرة صفحة.

[6] الحقيقي، مرتضى عبد السلام وآخرون، (2017م)، الشعر العربي المعاصر في نيجيريا قضايا واتجاهات، سلسلة إنتاج المستعربين الأفارقة 19، المركز النيجيري للبحوث العربية، طبعة الشمس للنشر والإعلام، القاهرة.

[7] الحقيقي، مرتضى عبد السلام، (2012م)، رحلة الزهراء، ط1، ص د

[8] الرزقاني، محمد عبد العظيم، (1990م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى لبيان الحلبي.

[9] عبد العزيز عتيق، (2006م)، علم المعاني، بيروت لبنان: دار النهضة العربية.

[10]محمد بن عثيمين، (2004م)، دروس البلاغة، ط1، كويت: مكتبة أهل الأثر.

[11]المسدي، عبد السلام، (1982م)، الأسلوبية والأسلوب، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ط3.

[12]الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت: المكتبة العصرية.